مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17 العدد 02 السنة 2021/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المظاهر الأسرية بمدينة بجاية خلال العهد الحمادي (القرن 5هـ-6هـ/11م-12م) -دراسة تاريخية أنثروبولوجية-

Family appearances in Bejaia during the Hammadi Period (5th-6th /11AD- 12AD. century) - Anthropological Historical Study -

بن عمير زهير[1] *

[1]مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان

zohir.benamier@univ-tlemcen.dz

د(ة). بكاي هوارية[2]

[2]مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان،

bekkayehouaria@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2020/09/30 تاريخ القبول: 2020/11/09

ملخص:

اهتم الحماديون في مدينة بجاية، خلال الفترة الممتدة ما بين القرنيين 5هـ-6هـ /11م-12م، بالمظاهر الأسرية وبعض العادات والتقالد، منها الزواج، والاحتفال بمولد الطفل والختان، وأيضا الاهتمام بالمطبخ؛ إذ نجد مختلف أنواع الطعام التي قد يحتاجونها في حياتهم اليومية، واللباس، والمظاهر الأخرى التي كانت منشرةً بالمجتمع الحمادي في مدينة بجاية، كما يبدوا أن ظاهرة الاحتفالات والأعياد قد حضيت بعناية فائقة عند الحماديين، فكانت تفتح فيها القصور بمدينة بجاية للعامة في العديد من المناسبات ، والاحتفالات الدينية؛ لما لها من أبعاد روحية دينية من جهة، وتاريخية أنثروبولوجية وحتى سوسيوثقافية من جهة أخرى.

بالإضافة إلى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، خاصةً بعد إنتقال الفاطميين إلى مصر، وتعد الدلالات الرمزية للطقوس والاحتفالات الدينية، التي كانت سائدة في المجتمع الحمادي، بما فيها المخيال الإسلامي، والشعبي الذي أضحى مكوناً أساسياً مطلقاً في حياة الحماديين وجزءاً من ذاته المرتبطة بالتاريخ، لاسيما جانبه الاجتماعي والانثروبولوجي.

الكلمات الدالة: الأسرة؛ العادات والتقاليد؛ بجاية؛ المجتمع الحمادي؛ البعد التاريخي الأنثروبولوجي.

* **المؤلف المرسل:** بن عمير زهير ، **الايميل:** zohir.benamier@univ-tlemcen.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract:

The Hammadis in the city of Bejaia, during the period between the centuries 5th-6h /11AD- 12 A.D., took care of family appearances and some customs and traditions, including marriage, celebration of the birth of the child and circumcision, as well as attention to the kitchen, as we find different types of food that they may need in their daily lives, dress, and appearances. The other, which was sawn in the Hammadi community in the city of Bejaia, as it seems that the phenomenon of celebrations and holidays was attended very carefully by the Hammadis, where it opened palaces in the city of Bejaia to the public on many occasions and religious celebrations, because of its spiritual religious dimensions on the one hand, historical anthropological and even sociocultural on the other.

In addition to celebrating the prophet's birth, especially after the fatimids moved to Egypt, the symbolic connotations of religious rituals and ceremonies that prevailed in the Hammadi community, including the Islamic imagination, and the popularity that became an absolute lyceum in the life of the Hammadis and part of itself associated with history, particularly its social and anthropological aspect.

Keywords: Family; customs and traditions; Bejaia; Hammadi society; anthropological historical dimension.

مقدمة:

لا يزال تاريخ بلاد المغرب الأوسط في الفترة الوسيطة؛ وبالتحديد بمدينة بجاية خلال العهد الحمادي في خلال القرنيين 5هـ-6هـ /11م-12م، لاسيما جانبه الاجتماعي والأنثروبولوجي، مجالاً خصباً للدراسة والبحث من قبل العلماء والأنثروبولوجين، للبحث في المصادر التاريخية التي تناولت الجانب الاجتماعي والثقافي، لمعرفة العادات والتقاليد والمظاهر الأسرية للمجتمع بالمغرب الأوسط خلال الفترة الحمادية على العموم ومدينة بجاية بشكل خاص، وحتى الاستعانة بالعلوم المساعدة لعلم التاريخ خاصة علم الأثار، للحصول على شواهد مادية تحاكي الحياة اليومية للمجتمع الحمادي في تلك الفترة، وفق سياق كرونولوجي يؤرخ للتأثير والتفاعل الاجتماعي الذي كان سائداً في تلك الفترة.

والبحث في مجالات التفاعل الاجتماعي- الأنثروبولوجي للمجتمع الحمادي بمدينة بجاية، والكشف عن الدلالات الرمزية للطقوس والاحتفالات الدينة وبما فيها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف التي كانت سائدة في المجتمع الحمادي، بما فيها المخيال الشعبي الذي أضحى مكوناً أساسياً مطلقاً في حياة الإنسان

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وجزءاً من ذاته المرتبطة بالتاريخ، وعليه فالإشكالية التي تطرح نفسها في هذا الموضوع تتمحور حول: المظاهر الأسرية للمجتمع الحمادي والممارسات الاحتفالية وعلاقاتها بالمخيال الشعبي عند الحماديين بمدينة بجاية؟ ، وما مدى تأثيراتها الروحية والدينية والأنثروبولوجية؟.

أولاً: المظاهر الأسرية للمجتمع الحمادي بمدينة بجاية

1. مكانة المرأة في المجتمع الحمادي:

كان للمرأة في المجتمع البربري قبل الإسلام مكانة رفيعة، وحافظت على هذه المكانة في العصر الإسلامي، وكانت مكانتها متمثلة في الحقوق والحريات التي منحها إياها الرجل، وتطور وضع المرأة في المجتمع الإسلامي، اذ شاركت المرأة في الحياة السياسية، والدينية والعلمية، حيث كانت النساء تحضر الدروس والمناظرات في المساجد، وكي لايحدث اختلاط بينهم كان يضرب بستار بين النساء والرجال في المسجد، (القفري، 2017، صفحة 212)،فكانت تتمتع بمكانة سامية مرموقة،كما حظيت باحترام الرجل لها وشاركت إلى جانب زوجها في بناء الأسرة وتأسيسها وساهمت في تطور إقليمها من خلال الحرف والصناعات التي كانت تقوم بها (بن عبد المؤمن، ،العدد12، 2015، صفحة 24)، كما تميز الرجال والنساء على حد سواء بالجلد والقوة (ابن حوقل، 1996، صفحة 99)، احتلت المرأة مكانة محترمة في المجتمع بالمغرب الأوسط، سواءً في البادية أو في المدينة فكانت المرأة داخل القبيلة تتمتع بحرية واسعة ولها نفوذ، فكانت تشارك في جلسات بحث قضايا بالقبيلة، كتنظيم الرحيل واختيار الزمان والمكان للانتقال، ولم تظل المرأة عالة على المجتمع وخادمة في منزلها، بل كانت تشارك في الإنتاج فبالاضافة إلى قيامها بالأعمال المنزلية، كانت تقوم بأعمال يدوية كالغزل والنسيج وكانت تقوم بأعمال فلاحية في الحقل، (جودت، د.ت، صفحة 319، 318).

كما كانت المرأة تشهد مجالس العلم والأدب، بالإضافة إلى مشاركتها في الأمور السياسية، فعندما أنشئ الناصر بن علناس في مدينة بجاية مدرسة سيدي "التواتي " التي كانت تحتوي على ثلاثة ألاف طالب، وتدرس فيها كل العلوم بما فيها العلوم العقلية والنقلية على غرار العلوم الفلكية والرياضيات، وخلال مناضرة علمية ألقت طالبة من مدرسة سيدي تواتي، محاضرةً دامت ثلاثة أيام حول بروج الشمس أمام مجموعة من العلماء والطلبة الذين وفدوا على بجاية نظراً للمكانة والقيمة العلمية التي شهدتها في العصر الوسيط (عويس، 1411هـ/1991م، صفحة 254)، فقد كان مرخصاً للفتيات ليس فقط

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التعلُم ولكن حتى بل مواصلت تعلمهن إلى أعلى المراتب، فإلقاء الطالبة للمحاضرة دليل على القدر الكافي من الحرية التي كانت تتمتع بها المرأة في المجتمع الحمادي بصفة خاصة والمجتمع الإسلامي عامةً.

2. الأســـرة:

تعتبر الأسرة أصل التنظيم الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات، والمجتمع الحمادي هو الأخر عرف هذا التنظيم، فالأسرة هي قاعدة القبيلة أو المجتمع فتتكون الأسرة من الأب والأم والأبناء والجد والجدة والأعمام، وهم مسئولون عن إعالة أفراد الأسرة، وتعتبر ملكية الأرض ملكاً مشاعاً لجميع أفراد الأسرة، ويعيش هؤلاء تحت سقف واحد يتعاونون في عملهم ويشتركون في تحمل المسئولية بين الأب والأبناء (جودت، د.ت، صفحة 252).

3. الزواج:

لا تكاد عادة الزواج في المجتمع الحمادي تختلف عما هي عليه الآن، فجرت العادة عندما يقع اختيار الشاب لفتاة ورضيها زوجةً له، أرسل وفداً خاصاً لخطبتها من ولي أمرها (جودت، د.ت، صفحة 319)، وكان انطلاقاً من الخطوبة وهي تمهيد الاتفاق بين العروسين وتكون عادةً عند أهل العروس للتحدث مع أهلها والتشاور والاتفاق معهم، حول كل ما يتعلق بالزواج من مقدار المهر، وغير ذلك (جودت، د.ت، صفحة 215).

فالزواج له وظائف اجتماعية مختلفة، ويعيش الزوجان في حياة، واحدة يقرها ويقبلها كل أعضاء المجتمع الأخرين، والشريعة الإسلامية حثت على ذلك، **قوله تعالى:﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (سورة الروم، الآية 20)**، لاستمرار النسل البشري، ولما فيه من تحصين الفرد من الوقوع في المحرامات وإلى غير ذلك، ولتسير أمور الأسرة، كذلك مسألة إنجاب الأطفال، يتكفل بهم الأباء من ناحية المأكل والملبس والمشرب وحتى التربية، فعل المتزوج عادةً له نية العمل على استمرار العلاقة الزوجية فيما بينهما، فالزواج في كل المجتمعات هو عبارة عن مجموعة من الأنماط الثقافية لاقرار الأبوة وتهيئة الأساس المستقر للعناية بالأطفال وتربيتهم، فالزواج هو بالفعل الوسيلة الثقافية الأساسية لضمان استمرار الأسرة والمجتمعات (الجوهري وشكري، 2007، صفحة 85).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ومن الأعراف التي كانت في المجتمع الحمادي، أثناء فترة الخطوبة أن يهادي العريس عروسه في الأعياد والمناسبات هدايا، لا تعدوا أن تكون بعض من الحناء والصابون، وفاكهةً ومقدار من المال لاقتناء بعض الحاجيات (سيدي موسى، 1430-1431هـ/2009-2010م، صفحة 115).

4. الطعام:

في الغالب أن سكان المغرب الأوسط ومنهم سكان مدينة بجاية،كانوا يأكلون الحنطة والشعير والبقول واللحم والتمور والفواكه والزبيب والعسل الذي كان يباع في الأسوق ، وكان الخبز يعجن في الدار ثم يحمل إلى فرن المدينة، وكان الشعير والحنطة والفول والحمص تحمص في غالبية الأحيان (الهادي روجي، 1992،ج2، صفحة 424،425).

بالإضافة إلى هذه الأطعمة، كان يوجد ما يسمى بالنقانق في اللغة العربية، وهي غزلان تحشى باللحم المدقوق وبعدها تُغلى وتُطها (بورويبة، 1397 هـ/1977م، صفحة 162)، كانت بعض الأطعمة والمأكولات المنتشرة في المغرب الأوسط، كما ذكرها الأستاذ روجي إدريس: يمكن قياسها على المجتمع الحمادي باعتباره يمثل سكان المغرب الأوسط في تلك الفترة، فكانت البسيسة التي تصنع بسميد الشعير المحمص والزيت والماء ثم تطبخ، والهريسة التي كانت تطبخ بالقمح واللحم المرحيين (الهادي روجي، 1992،ج2، صفحة 591،593)، بالإضافة لحم الدجاج بزيت الزيتون، والعصيدة التي كانت تطبخ بالقمح والماء والسمن والعسل، والبيسار وهو الفول المطبوخ في اللبن والسمن (بن النية، 1426هـ-1427هـ/2005م-2006م، صفحة 130)، وأوراق السلق المطبوخة مع الحمص والجزر، بالإضافة إلى الخبز المفتت في المرق أو الثريد، والدشيش وهو شربة مصنوعة من الشعير أو القمح، وكانت الحلويات المعروفة كالكعك والسفنج بالعسل واللوز، والقطائف والقرص بالسميد والسمن والعسل، ونوع من الكعك الذي كان يحشى باللوز، (الهادي روجي، 1992،ج2، صفحة 591،592)، أما بخصوص السكان في الأرياف فكان كل شخص يأكل مداً من القمح يومياً أو من الشعير ويأكل اللحم مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع بالإضافة إلى الزيت والبقول (بورويبة، 1397 هـ/1977م، صفحة 162،163).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

5. اللباس :

كانت الملابس في مدينة بجاية خلال العهد الحمادي، مصنوعة من الصوف فكانت منتشرة مثلاً كالعمائم والأقراق الزرارية، والفتوحيات وشواشي الخزر والأكسية، إلى جانب هذه الملابس كان الناس في المجتمع الحمادي يلبسون الجبة الطويلة والقميص وسروال الفرو، (بورويبة، 1397 هـ/1977م، صفحة 163)، فعندما دخل المهدي بن تومرت بجاية سنة 512هـ/1118م لقي بها الصبيان في زي النساء وبالضفائر والأضراس والزينة وطواقي الخزر، كما وجدهم قد فتنوا بذلك ثم حضر عيداً فرأى فيه اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحل (عويس، 1411هـ/1991م، صفحة 239).

فكان المجتمع الحمادي في مدينة بجاية يتمتع بنوع من الحرية الاجتماعية حيث كانت المرأة تختلط بالرجال وكانت المرأة تسفر عن وجهها، بل وكان بعض الرجال يتشبهون بالنساء فكانوا يلبسون الأقراق الزرارية ولباس الفتوحيات (عويس، 1411هـ/1991م، صفحة 239)، ومن بين اللباس الذي اشتهر به الحماديين على غرار ملوكهم فكانت لملوك صنهاجة، عمائم شرب مذهبةً ويغالون في ثمنها، فتصل العمامة الوحدة إلى خمسمائة دينار أو ستمائة دينار، فكانوا يعممونها بأتقن صفة فتاتي تيجاناً، حيث كانت لهذه العمائم صناع متفرغون لذلك يأخذ الصانع على ذلك على تعميم هاته العمامة دينارين أو أكثر (مجهول، 1986، صفحة 129)، فكان بنو حماد في مدينة بجاية يتعممون بعمائم يشرب(كتان رفيع) مطرزة بالذهب وكانت ملفوفةً ومشدودةً شداً، حتى يخيل للناظر أنها تيجاناً، وكان بعض الصناع مختصين لذلك ولهم أجرةٌ على تعميم هاته العمائم، وكانت لهم قوالب خشبة في دكاكينهم تستعمل لعرض هاته العمائم وتسمى الرؤوس تعمم عليها هاته العمائم (الهادي روجي، 1992،ج2، صفحة 207،206).

وعندما أقام المهدي ابن تومرت في بجاية منع انتعال الأقراق ذات السيور المذهبة والتعمم بعمائم الجاهلية، وحرم على الرجال ارتداء الجلاليب المعروفة "بالفتوحات" والتزين بزينة النساء (البيذق، 1971، صفحة 13)، ومن بين ملابس الرجال التي كانت منتشرة منها جبة الملف والدراعة والسروال والغفارة والمحشو، وهي ثياب كانت منها تلبس في فصل الشتاء لتقي البرد، فالجبة عبارة عن ثوب فضفاض ومستطيل، يصنع من قماش ذي ألوان مختلفة وغالباً مصنوعةً من الصوف، والملف نسيج كان يرد من بلاد

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الروم، وكانت الجبة مصنوعة من الجوخ، وهي ثياب الطبقة الثرية، والدراعة هي قميص يصنع من الكتان أو القطن وتلبس في الصيف والغفارة لباس يغطي العنق والقفا، فكانت هي الأخرى تصنع من الصوف، والمحشو عباءةً مبطنة بالفراء يلبسها الأثرياء في الشتاء، وكانت عباءات خاصة بالفقراء مبطنة بالقطن ، أما بالنسبة لزي النساء فقد أشارت بعض النوازل إلى أنها ثياب من الحرير والكتان وملحفة القطن التي تلبس في الشتاء للوقاية من البرد وكذلك كانت النسوة يلبس في أقدامهن الجوارب والأخفاف (كمال السيد، 1996، صفحة 47،49).

فئةً تميزت حياتها عن باقي الشرائح الاجتماعية الأخرى، هي فئة المتصوفة، ذلك من حيث تقشفها في المأكل والملبس والمسكن، فقد اتبع متصوفة مدينة بجاية، المنهج النبوي في مأكلهم ومشربهم وحتى مسكنهم، وفي كبح جماح أنفسهم إزاء مغريات الدنيا وشهواتها، فقد كان النبي ، يأمر أصحابه بالصبر على المكاره وارتداء الخشن من الثياب، وزهدها في الحياة الدنيا برمتها واتصفت بأخلاق إسلامية عالية، وبوضعية اجتماعية بسيطة، وامتهنت المهن والحرف المختلفة دون أي عقدة أو تكبر، معتمدين على أنفسهم في كسب قوتهم اليومي، فضلاً على نشاطهم في مهنة التدريس وكلها سمات تجلت في الصوفية ببلاد المغرب الأوسط (بونابي، 2004، صفحة 161،162)، وقد أورد لنا الغبريني حال بعض المتصوفة ببجاية الذين كانوا يقتصدون في مأكلهم وملبسهم منهم:أبوزكرياء يحى بن أبي علي الزواوي (ت611هـ /1214م)، تعلم في بادئ أمره بقلعة بني حماد، ثم انتقل إلى المشرق، وانتهى به المطاف في مدينة بجاية، كان يعيش على المباح من البقول، واذا اشتهى اللحم كان يصطاد من سمك البحر (الغبريني، 1979، صفحة 127)، فكانت مدينة القلعة مكاناً مفضلاً للعلماء الذين رفضوا المذهب الشيعي فصارت ملجأً لهم (فيلالي، 2014، صفحة 26).

ثانياً: أهم الممارسات الاحتفالية وقدسيتها عند الحماديين ببجاية

1. الاحتفال بمولد الطفل والختان:

كان من عادة سكان المجتمع الحمادي ببجاية وبلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة الاحتفال بمولد طفل جديد "مولود جديد" فكان الرجل الذي يولد له مولود جديد يقيم وليمةً في اليوم السابع، ويذبح عنه شاةً سواءً عن الذكر أو الأنثى يعطي القابلة ربعها والباقي يقيم به وليمة ويطعم فيها الأهل والأقارب والجيران، وتسمى العقيقة، (جودت، د.ت، صفحة 319) ، (القفري، 2017، صفحة 221)، كان

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والد الطفل يقوم بختان ابنه، وعلى إثر هذه المناسبة يقوم بإعداد وليمة كانت هذه المناسبة كغيرها من المناسبات تعتمد على حالة الرجل المادية (ابن رشيق، 1406هـ/1986م، صفحة 368) كما كان أهل بلاد المغرب بصفة عامة وأهل مدينة بجاية في العهد الحمادي بصفة خاصة، يقومون بإختتان الأطفال، ويقيمون على شرف المناسبة مأدبةً يدعى إليها الأهل والأقارب،كما وجدت لديهم ما يسمى "بالصنيع" وهو مجلس اللهو والطرب التي كان يصحبها غالباً استعمال البوق والضرب على العود (كمال السيد، 1996، صفحة 45،44).

2. قدسية الاحتفال بالأعياد الدينية في المخيال الشعبي:

لقد ارتبطت الاحتفالات الدينية عند الحماديين في مدينة بجاية بالدين الإسلامي، وكغيرهم من المسلمين حيث كان التحضير للاحتفال بهاته المناسبات الدينية المقدسة وعليه يمكن التميز بين ماهو مقدس والقداسة في الحضارة العربية الإسلامية كما يعتقد الباحثين الانثروبولوجيين، ضرورة تمييز بينهما على اعتبار أن المقدس مميز للدين، فاذا كان المقدس يعانق الطاهر، فان الدين موجه نحو القداسة بالطهارة، فالدين الإسلامي اعتبر المقدس محوره حول **الله سبحانه وتعالى**، والقداسة هي المجال الذي عمل الإسلام على توجيها نحو **الله سبحانه وتعالى** (الزاهي، 2005، صفحة 27)، مثال ذلك عيد الفطر وعيد الأضحى وأيام صلاة الجمعة باعتبارها عيد المسلمين حيث كان الاحتفال بصلاة الجمعة مميزاً، وكان المسجد الجامع بالمدينة، يكتض بالمصلين لتأدية صلاة الجمعة، وكانت هذه المناسبة تؤدى في جو من البهجة والفرح في أوساط العامة، (سيدي موسى، 1430-1431هـ/2009-2010م، صفحة 131،130) ، وكذلك في شهر رمضان نجد مكانةً خاصة في قلوب الناس فتجدهم يترقبون رؤية الهلال ومن ثم إعلام الآخرين بثبوت الرؤية، وإعلام غيرهم من القرى عن طريق إضرام النار لطالما حذر العلماء والفقهاء من هذه العادة وثبوت الرؤية تثبت عن اثنان ذوي عدل (عويس، 1411هـ/1991م، صفحة 240)، فمن منظور أنثروبولوجي أصبح المخيال الشعبي مكوناً من مكونات الإنسان مطلقاً، وجزءاً من ذاته المنغرسة في التاريخ، فكثرت الدراسات التنظيرية والتطبيقية المهتمة بهذه الظاهرة، فالمخيال وعلاقاته بالعلوم الإسلامية، بدءاً بالذكر والإرشاد والوعظ، فكان سنداً للدين، فاتخذ من المسجد فضاءاً ومن أوقات الصلاة زمناً مناسباً للاستماع للقصص أو مناسبةً لاثارة الحماسة، فكان موجهاً أساساً للعامة،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لترويض النزاعات حتى تذعن لمقتضيات النموذج الثقافي والاجتماعي السائد (المكي، 2013، صفحة 25،23).

وفي شـــهر رمضان ترى الناس منشغلين بصلاة التروايح مع الذكر وقيام الليل وقراءة القـرآن الكريم وتأدية الصلوات الخمس في أوقاتها فترى المساجد عامرة (سيدي موسى، 1430-1431هـ/2009-2010م، صفحة 130).

3. الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

ظهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بداية عند الشيعة الفاطميين خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وتشير المصادر الإخبارية التي اهتمت بتاريخ الفاطميين وعاداتهم واحتفالاتهم لاسيما الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، نجد منهم المقريزي، كتابه "الخطط" والقلقشندي في كتابه "الصبح الأعشى"، أنهم أول من سن هذه العادة ثم عمت جميع أنحاء العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً (غزالي ، نقادي، 2020، مجلد16، العدد02، صفحة 32) ، يرجع إحتفال الحماديين بمولد المصطفى إلى التواجد الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي، منها المغرب الأوسط بالضبط بجاية لأنها تضم قبيلة كتامة التي تبنت الفكر الشيعي وكانت من أهم القبائل التي ساندت الفاطميين، فمن المرجح أنه كان يتم الاحتفال بالمولد النبوي عند الفاطميين في بلاد المغرب، وبقي عند الحماديين بعد إنتقال الفاطميين إلى مصر، ومن مظاهر الإحتفال بالمولد النبوي، لبس أحسن الثياب وركوب فاره الدواب، لإظهار الفرحة والسرور بمولده المصطفى (كمال السيد، 1996، صفحة 44)، أو حتى أن اختلاطهم الحماديين بالعرب الهلالية، قد مكنهم من الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كغيرهم من المسلمين (القفري، 2017، صفحة 218).

كان طلبة العلم والمدرسين يقومون بإيقاد الشموع في الكتاتيب والاجتماع للصلاة على النبي ، وتلاوة ما تيسر من القران الكريم وإنشاد بعض القصائد في مدح الرسول، فكان المنشدون يقومون بانشاد قصائد وموشحات دينية في مدح المصطفى (القفري، 2017، صفحة 219،218)،كما كانت توزع الصدقات والأطعمة على الفقراء والمساكين، ففي كثير من الأحيان كان الصبيان يقدمون الشموع كهدايا للمدرسين في هذه المناسبة المقدسة، (الونشريسي، 1401هـ/1981م،ج11، صفحة 279،278)،كما هو معروف أن صناعة الشموع في مدينة بجاية كانت مزدهرة في تلك الفترة فلا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

نستبعد تقديمها كهدايا للمدرسين أو حتى إيقاد الشموع، في هاته المناسبة واحتفال المجتمع الحمادي بمناسبة مولد المصطفى ﷺ، باعتبارها عيداً من أعياد المسلمين، فقد ورث الدولة الحمادية العديد من المعالم الاجتماعية والثقافية عن وجود الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الاوسط (يسعد و بلاغماس، 2019، صفحة 79).

ثالثا. الأبعاد والتأثيرات التاريخية والأنثروبولوجية لممارسات وعادات الأسرة الحمادية البجائية:

مما لا ريب فيه أن تلك الممارسات التي جسدتها الأسرة الحمادية في بجاية؛ كان لها الأثر الواضح والمباشر على عدة مستويات وأصعدة سوسيوثقافية، وروحية أنثروبولوجية، وسياسية تاريخية، طبعت وميزت المجتمع الحمادي بالمغرب الأوسط بخصائص ومزايا عن باقي المجتمعات في المغرب الإسلامي عامة، ومنها نذكر:

1. رمزية الاحتفال بمولد النبي ﷺ

يتخذ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف طابعاً رمزياً ولا يكتفي بذكرى الميلاد فقط، بحيث تتحول ولادة النبي ﷺ من موضوع احتفال إلى ولادةً رمزية (غزالي ، نقادي، 2020، مجلد16، العدد02، صفحة 34)، فيتقاطع داخله الديني مع الاجتماعي والقدسي، فيظهر الكل في أشكال تعبيرية رمزية بما أن حياة النبي ﷺ، حياة قدسية منسجمة مع الكتاب والدعوة إلى الإسلام، فالفقهاء يقولون بأن حياة النبي ﷺ حياة رسالة وتبليغ مع انتهاء الرسالة واكتمالها مع حجة الوداع، لما فيه عند الاحتفال بهذه الذكرى من إحياء لسنة المصطفى ﷺ واستحضار عظمة النبوة والرسالة والتعرف على السيرة النبوية، وعند إحياء ذكرى المولد النبوي، هي لحظة تجديدية لعلاقة الإنسان بحقل القداسة، ورسم لمعالم وحدود وحتى تداخل الجماعات والفئات الاجتماعية، وهو ما يجعله ليس فقط لتجمع الناس، ولكن أيضاً لإشكالية المتخيل المجتمعي، وأنماط معتقدات الكونية والمحلية (الزاهي، 2005، صفحة 52،51).

2.إنتشار ظاهرة الزواج السياسي عند أمراء بني حماد:

ومن مظاهر الزواج التي انتشرت في المجتمع الحمادي المراد من ورائة تحقيق مصالح وأهداف سياسية واجتماعية: نجد زواج الملوك والأمراء نذكر: زواج الناصر بن علناس الحمادي من بلارة ابنة تميم، وكان هذا الزواج سياسي لرسم طريق الصلح بين الناصر وتميم، حيث كان الأمراء يغالون في المهور (عويس، 1411هـ/1991م، صفحة 133)،حيث يقول ابن عذاري:«...فجهزها إليه من المهدية في عساكر

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

عظيمة ومال وأسباب وذخائر... »، «...وفي سنة 470هـ زوجه ابنته بلارة... » (ابن عذاري، 1983،ج1، صفحة 300)، أما ابن الأثير فيذكر أن:«...أن الناصر حمل ثلاثين ألف دينار، فأخذ منها تميم ديناراً واحداً ورد الباقي» (ابن الأثير، 1407هـ/1987م، مج9، صفحة 415)وفي نفس الموضوع يذكر حسن حسني عبد الوهاب، أن الناصر بن علناس ابتنى لزوجة الأميرة بلارة ابنة تميم، قصراً خاصاً بها وأخذ القصر اسمها "قصر بلارة"، وقصر بلارة اليوم قد محا الزمان أثاره، فيقول الشاعر الصنهاجي أبو عبد الله محمد نادباً قصر بلارة الذي بناه الناصر، فبقي إلا أطلال بعد تخريب القلعة على يد بني هلال، فيقول:

ان العـــروسين لا رسم ولا طـلل فانظر ترى ليس إلا السهل والجبل

وقصـــر بلارة أودى الزمان بـــه فأين مـا شـــاد منها السادة الأول

ورزق الناصرمن الأميرة بلارة أبناء، أمراء، نبلاء وكان أعلاهم كعباً المنصور بن الناصر، وعاشت بلاة محضية معززة أيام زوجها، (عبد الوهاب، 1353هـ/1934م، صفحة 52،51).

وزواج المنصور بن الناصر من ابنة ماخوخ الزعيم "بني ومانو"، من قبيلة زناتة وكان ماخوخ هذا موالي للمرابطين فإشتعلت نار الفتنة من جديد بين زناتة وصنهاجة فدخل المنصور معهم في مواجهة عنيفة جعلته يخسر معهم المواجهة، وارتد إلى بجاية وأقدم على قتل زوجته ابنة ماخوخ انتقاماً من ماخوخ وكانت بالنسبة إليه مجرد عنصر يضمن ولاء قبيلة زناتة (ابن خلدون، 1421هـ/2000م،ج6، صفحة 233)، وهذه صورة أخرى من صور الزواج السياسي الذي كان سائداً لدى أمراء بني حماد، فأراد المنصور مهادنة زناتة ويكسب ودهم ولكن صورة الزواج والغاية منه لم تنتج، لطالما سعى الحماديين لإخضاع زناتة تحت لواء الدولة الحمادية،لكن فشلوا في ذلك، فظاهرة الزواج السياسي كانت منتشرةً لدى الأمراء الحماديين.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة الأنثروبولوجية للمجتمع الحمادي منها المظاهر الأسرية وبعض عادات وتقاليد المجتمع الحمادي بمدينة بجاية مابين القرنيين 5هـ-6هـ /11م-12م، وكذا معرفة قدسية ورمزية الإحتفالات الدينية في المخيال الشعبي البجائي.

- حضيت المرأة بمكانة محترمة في المجتمع الحمادي بالمغرب الأوسط، فكانت المرأة داخل القبيلة تتمتع بحرية واسعة، ولها نفوذ كبير، وكانت اسهاماتها بارزةً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للدولة الحمادية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

-اهتم الحماديون بالمظاهر الأسرية وبعض العادات والتقالد، منها الزواج، والإحتفال بمولد الطفل والختان، وكذا الاهتمام بالمطبخ لنجد مختلف أنواع الطعام التي قد يحتاجونها في حياتهم اليومية، واللباس فصناعة النسيج كانت رائجة بالمجتمع الحمادي بمدينة بجاية.

- يبدوا أن ظاهرة الإحتفالات بالأعياد كانت تحضا بعناية فائقة عند الحماديين، كانت تفتح فيها القصور بمدينة بجاية لعامة الناس في العديد من المناسبات، فالأمراء الحماديين كانوا يفتتحون الإحتفالات الشعبية، فقد عُرف المجتمع الحمادي بأنه أكثر المجتمعات رفاهيةً وعلماً ورخاءاً وأمناً في العصر الوسيط.

- إحتفال الحماديين بمولد المصطفى راجع إلى التواجد الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي، منها المغرب الأوسط بالضبط بجاية لأنها تضم قبيلة كتامة التي تبنت الفكر الشيعي، والتي ساندت الفاطميين بل وحتى أنها قامت على سواعد رجالها الدولة الفاطمية في المغرب.

- من المرجح أنه كان يتم الاحتفال بالمولد النبوي، عند الفاطميين في بلاد المغرب وبقي عند الحماديين بعد إنتقال الفاطميين إلى مصر، أو حتى أن الاحتفال بالمولد النبوي انتقل مع القبائل العربية التي كانت مستقرةً شمال دلتا النيل، وهي في احتكاك دائم مع الفاطميين في مصر.

- ساهمت العلاقات الاجتماعية بين الدولة الزيرية والحمادية؛ كثيراً من الأحيان في تحسين علاقاتهم السياسية وإقامة الصلح بينهما وتجنب المواجهة العسكرية بين الدولتيين.

- من بين الدلالات الرمزية للطقوس والاحتفالات الدينة، التي كانت سائدة في المجتمع الحمادي، بما فيها المخيال الشعبي الذي أضحى مكوناً أساسياً مطلقاً في حياة الحماديين وجزءاً من ذاته المرتبطة بالتاريخ.

قائمة المصادر والمراجع.

-القـرآن الكريـم، برواية ورش.

1) ابن الأثير أبي الحسن علي، الملقب بعز الدين، الكامل في التاريخ، مجلد 9، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،1407هـ /1987م.

2) ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط،1996

3) ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1421هـ/2000م.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

4) ابن رشيق حسن القيرواني، انموذج الزمان في شعران القيروان، جمعه وحققه محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1406هـ/1986م.

5) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح ج.س كولان وليفي بروفنصال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2 ،1983.

6) أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية بالمغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب الونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ،1996.

7) بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80-362هـ/699-973م)، رسالة ماجستير، إشراف بوبة مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، 1426-1427هـ/2005-2006م.

8) بن عبد المؤمن بهية، وضعية المرأة التواتية من خلال نوازل اللبلبالي خلال القرن 13هـ/19م، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 12/جانفي 2015م، ص23-49.

9) بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1397هـ /1977م.

10) بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنيين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د.ط،2004.

11) البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، 1971.

12) جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين(9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ت.

13) الجوهري محمد وعلياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة ،2007.

14) حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات تونسيات، المطبعة التونسية، تونس، 1353هـ/1934.

15) روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 12/10م، تعريب حمادي الساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1992.

16) الزاهي نور الدين، المقدس الإسلامي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

17) سيدي موسى محمد الشريف، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني، 10هـ/12-16م، أطروحة دكتوراء، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1430-1431هـ /2009-2010م.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

18) عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م.

19) غزالي عبد العالي ونقادي سيدي محمد، حضرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في تلمسان الزيانية–مقاربة تاريخية أنثروبولوجية، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، المجلد 16، العدد 02، 2020، ص31–44.

20) فيلالي عبد العزيز، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.ط، 2014.

21) القفري محمد شايع، دور البربر في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2017م.

22) ليلى محمد يسعد، وبركة بلاغماس، التاريخ الاجتماعي للجزائر، دار ألفا للنشر والوثائق، الجزائر، 2019.

23) المكي باسم، المعجزة في المتخيل الإسلامي من خلال كتب قصص الأنبياء، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013م.

24) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، بغداد، العراق، د.ط،1986.

25) الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج11، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية،1401 هـ/1981م.